

قلعة بني حماد

عوامل الجذب و رؤية للاستغلال السياحي

أ.طويل العيدي

جامعة سطيف 2.

مقدمة:

يَعرف العالم في الوقت الراهن عدة تحولات اقتصادية و اجتماعية ، تمخض عنها تحول ظاهرة السياحة¹ إلى اقتصاد قائم بذاته ، فلم يعد السائح ذلك المغامر فقط، بل ازدادت مع مرور الوقت تطلعاته ورغباته مما جعل مجالات السياحة تتوسع أكثر فأكثر². نتج عنها تبلور عدة أنماط للسياحة³، من بينها السياحة الثقافية التي تهدف إلى التعرف على ثقافات وحضارات أقاليم مختلفة وتشمل زيارة المناطق التاريخية والأثرية ، التي تضم المعابد و المسارح و الحصون و الأسوار و القصور و التماثيل.بالإضافة إلى المتاحف والمواقع الأثرية والحرف التقليدية المرتبطة بالتراث الشعبي والثقافي والحضاري ، و التي تعد من أبرز عوامل الجذب السياحي الثقافي، وبمثابة العمود الفقري في التربية الثقافية السياحية ، وتحتل مكان الصدارة بين أقوى المغناطيسات السياحية الجاذبة بنسبة تقدر ب 59 % من الطلب العالمي على السياحة . في هذا السياق يمكن إدراج منطقة الحضنة عامة وموقع قلعة بني حماد خاصة ضمن مصادر الجذب السياحي ذات المغريات التاريخية والحضارية التي لا تزول ، بل تتغير وتتجدد على مدار المواسم السياحية ، في ظل المقومات وعوامل الجذب السياحي التي تتمتع بها والتي تتمثل في:

1- مقومات الجذب السياحي لقلعة بني حماد: نعني بمقومات الجذب السياحي مجموعة العوامل التي تؤدي دورا رئيسيا في توجيه السائح إلى مناطق معينة أو قضاء الإجازات في أقاليم بعينها دون غيرها، وسوف نتطرق في هذا السياق إلى مختلف عوامل الجذب السياحي التي تتوفر عليها قلعة بني حماد، وهي في مجملها عوامل طبيعية وبشرية .

1 - لفظ السياحة **TOURISM** مشتق من لفظ **Tour**، كما جاء في قاموس Webster ، ويعني في اللغة الإنجليزية رحلة يقوم بها الفرد ويعود إلى نفس النقطة التي بدأ منها ، أي رحلة دائرية تم التخطيط لها لزيارة عدة أماكن من أجل العمل أو المتعة أو التعليم ، كما عرف السياحة بأنها ممارسة السفر من أجل الاستجمام. وجاء في قاموس أكسفورد Oxford أن **Tour** (أصل لفظ السياحة) رحلة تبدأ من المنزل وتنتهي إليه ، ويتم خلالها زيارة عدة أماكن أو عدة زيارات لأماكن يتم تنظيمها بمعرفة شركة محترفة ، وأن السائح هو الشخص المسافر من أجل المتعة.

2 - محمد خميس الزوكة ، ظاهرة السياحة ، الإسكندرية ، 1992 ، ص ص 13 14.

3 - تتعدد أنماط السياحة تبعا لمعيار الهدف و هو أمر طبيعي يتفق ورغبات السياح وإمكانياتهم المادية ومستوياتهم الثقافية وخصائصهم الصحية والعلمية ، لذلك تضم السياحة تبعا لهذا المعيار الأنواع الآتية : سياحة الاستجمام ، السياحة الثقافية ، سياحة المؤتمرات ، السياحة الطبية ، السياحة الرياضية ، السياحة الدينية ، سياحة العلاقات الاجتماعية.

1-1- الموقع الجغرافي:

تقع المدينة القلعة على منحدر قمة جبل تقربوست (1418م) على الحدود الشمالية الشرقية لسهول الحضنة على مسافة 36 كلم، شمال شرق عاصمة الولاية المسيلة، في شكل هضبة يقارب علوها 950م على سطح الأرض و 550م بالنسبة لسطح الحضنة الكبير، تسندها قمم تجعل منها موقعا محصنا طبيعيا ، يحدها من الغرب جبل قورين (1190م)، ومن الشرق سلسلة جبال عدوقة، قمة سيدي سحاب (1000م/1400م)⁴. ويمكن الدخول إليها جنوبا عبر باب جراوي، وهو المكان الذي مكن لمؤسسها حماد بن بلكين من تحقيق أهدافه من حيث المنعة والحصانة، وأمكن له من خلال هذا الموقع كذلك السيطرة على سهول الحضنة ومراقبة تحركات القبائل الزناتية النائرة على الزيريين⁵. والقلعة بهذا الموقع مؤهلة لامتلاك كل مقومات الجذب السياحي سواء على مستوى السياحة الداخلية أو الخارجية، خاصة وأن المنطقة ككل تقع على بعد 240 كلم من الجزائر العاصمة، وعلى مشارف الصحراء الجزائرية، وهي بذلك معبر للعديد من الطرق الرئيسية وملتقى الشمال بالجنوب، ونقطة عبور بين الشرق والغرب. يمثل هذا الموقع أهمية كبرى على صعيد الجذب السياحي كذلك لقربه من مناطق تصدير السائحين و راغبي الترفيه من كل المناطق والاتجاهات ، كما يصنف ضمن منطقة الاستقبال ودوائر العرض السياحي، التي تستقطب المسافرين، الزائر،المنتزه و السائح، ومما لاشك فيه أيضا أن هذا الموقع يقلل من تكاليف السفر بحكم قصر المسافات المؤدية إليه، مما يزيد في رغبة السائح بالإقامة لأطول فترة . انظر الشكل رقم 01.

1-2- المناخ:

يعد هذا الأخير من أكثر العوامل الطبيعية تأثيرا على الموارد السياحية، فالمناخ الملائم للحركة السياحية في منطقة ما و الذي يختلف عن المناخ السائد في المناطق المجاورة يعتبر ثروة سياحية حقيقية، وينطبق ذلك بصفة جلية على منطقة الحضنة عموما والقلعة خصوصا حيث يسود المناخ شبه الجاف ، بمعدل حراري يقدر ب 15د، ونسبة تساقط لا تتجاوز 30 ملم سنويا، كما تهب بها الرياح الشمالية الغربية الباردة شتاءً، والرياح الجنوبية الغربية الحارة صيفاً، وهي ذات تأثير مباشر على الحسم البشري من حيث شعوره بالانتعاش .فهذا المناخ الذي يتميز بحرارة الهواء النقي الجاف والحرارة المعتدلة ، يمكن استغلاله في السياحة الإستجمامية لاستثمار أوقات الفراغ من أجل المتعة والراحة والهدوء بعيدا عن الضوضاء ومصادر التلوث، وفي السياحة العلاجية التي تؤثر إيجابا في الدورة الدموية وضغط الدم والجهاز العصبي والجهاز النفسي⁶، خاصة خلال

⁴ -Marc Cote , Paysages et Patrimoine , Guide D'Algérie, Media Plus , Algérie , 1996,p158

⁵ - صالح يوسف بن قرية ، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وأثرية، الطبعة الأولى، منشورات الحضارة، 2009، ص 84.

⁶ - وفاء أحمد عبد الله ، رؤية لظاهرة السياحة وارتباطها بالصحة ، مجلة البحوث ، وزارة السياحة ، العدد الرابع، القاهرة ، 1986، ص ص 35 36 37

فصل الربيع أين يكون الجو أكثر اعتدالا، و تعرف خلال هذا الفصل قلعة بني حماد تدفق سياحي كبير، لذلك يصنف مناخ المنطقة ضمن النطاقات المقصودة لهذا الغرض، بالإضافة إلى النطاقات الساحلية والجزر البحرية، إلى جانب المحميات الطبيعية والمنتزهات. وبمقارنة بسيطة يعتبر مناخ منطقة الحضنة الطبيعي أكثر اعتدالا من منطقة الأقصر والجيزة بمصر ومراكش بالمغرب الأقصى و القيروان بتونس.

1-3- التضاريس :

يهتم الإنسان بالتسلية في وسط طبيعي لاستعادة نشاطه ومن أشكال التضاريس التي تكتسب أهمية سياحية كبيرة نجد الجبال والهضاب وشواطئ البحر، وازدهار السياحة في هذه المناطق خاصة منها الريفية يؤدي إلى تتميتها ورفع مستوى المعيشة بها . وهو ما يتجلى بتضاريس قلعة بني حماد، حيث تصنف مرتفعات وجبال المعاضيد ضمن السلسلة الجبلية لمنطقة الحضنة ، التي تتوضع بالتحديد بين مرتفعات جبال الببيان من الجهة الشمالية وحوض الحضنة من الجهة الجنوبية، ويصل ارتفاع أعلى قمة بها إلى 1865م ، تنمو بها غابات السنوبر الحلبي و الأرز وبساتين الفواكه ومزارع صغيرة على ضفاف الوديان⁷ .

تمثل هذه الجبال على صعيد الجذب السياحي قيم سياحية كبرى، من بينها تمتعها بمناخ صحي قوامه اعتدال أشعة الشمس ونقاء الهواء، ليتحقق بذلك التزاوج بين جملة من العوامل التي يمكن أن تستغل في الترويج للسياحة الرياضية والترفيهية كتسلق الجبال، التزلج، السير والتجوال، صيد الحيوانات البرية، وتنظيم البطولات والمهرجانات الرياضية السنوية و المصايف الجبلية .

1-4 - البعد الحضاري والتاريخي :

تمثل القلعة في هذا السياق قيمة تاريخية، أثرية وفنية كبرى وعامل استقطاب للسياح الراغبين في التعرف على التراث الأثري للمدينة والمنطقة ككل، باعتبارها أول موقع أثري مصنف ضمن قائمة التراث العالمي ابتداءً من سنة 1980/09/05 تحت رقم (7) 1968/01/23م⁸. يعود تأسيسها إلى سنة 398هـ / 1007م ، على يد مؤسس الدولة الحمادية حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي⁹ ، والتي عرفت أزهى عصورها وازدهارها الحضاري في عهد الأمير المنصور بن الناصر الذي تأنق في اختطاط المباني وتشبيد المصانع و اتخذ القصور، وإجراء المياه والرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك ، قصر المنار ، الكوكب وقصر

⁷ - Marc Cote , op cit , p 157.

⁸ - الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية ،نصوص ونظم تشريعية في علم الآثار وحماية المتاحف والأماكن والآثار التاريخية،الجزائر ،1991، ص 129.

⁹ - عبد الرحمان ابن خلدون ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر مكتبة المدرسة ودار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان ،1961، ج 6 ، ص 350.

السلام¹⁰، "حتى أضحت من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا... وأحسنها قصورا ومساكن وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها سميحة... و بها من الفواكه المأكولة والنعم المنتجة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير"¹¹. وكانت تخرج منها ثلاثة طرق، بالإضافة إلى الطريق التي تؤدي إلى بجاية، اثنان تتجهان نحو القيروان والثالثة نحو تنس¹²، ضاهت بذلك الكثير من المدن الإسلامية الكبرى كبغداد، قرطبة و فاس¹³.

ولا تزال المدينة الأثرية حالياً تحتفظ في أرجائها عديد التكوينات المعمارية الجديرة بالزيارة، منها العسكرية لغرض الحماية والمراقبة كالسور الذي يطوقها على مسافة 07 كلم، برج المنار، باب الأقواس بالجهة الشمالية، باب جراوي بالجهة الجنوبية وباب الجنان شرق المدينة¹⁴، وأخرى دينية كالمسجد الكبير الذي شيد سنة 398هـ/1007م¹⁵، والمئذنة التي يبلغ ارتفاعها 24.70م، التي تمثل قيمة معمارية وفنية هامة¹⁶ (انظر الصورة رقم: 02)، ومسجد قصر المنار المكتشف سنة 1968م¹⁷، كما عثر الباحثون الأثريون على بقايا عدة قصور و المذكورة آنفاً بموقع القلعة، هي قصر السلام، قصر البحر، قصر المنار، قصر الكوكب¹⁸، و تعد حالياً بمثابة معالم تشكل التخطيط العمراني للمدينة الأثرية و تمثل أيضاً عوامل استقطاب و جذب سياحي لمختلف أطراف الزوار. انظر الشكل رقم 03.

1-5- عادات الكرم و الضيافة :

يزخر التراث الشعبي اللامادي لمنطقة الحضنة بتنوع وتعدد في مادته، وتتجسد أبعاده في العادات والتقاليد التي لا تعد ولا تحصى، إضافة إلى المعتقدات والمعارف الشعبية التي تزخر بها، و التي تعكس البعد المحافظ لأهل المنطقة المستمد من تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء التي يتمسك بها كل أفراد المجتمع ومن سماتهم الجلية التواضع وحماية النزول وكرم الضيافة. وهي من السلوكيات النبيلة المتجذرة في منطقة الحضنة، فالمجتمع المحلي مضياف بطبعه، يُلقى التحية بطريقة تلقائية وفي قوالب لغوية متنوعة أهمها "السلام عليكم" "نهارك طيب" "الله يعينك"، أما استقبال الضيوف فيكون بتحية "يا مرحبا" "على سلامتك" "قرب"، وهي عبارات

¹⁰ - نفسه، ص 358.

¹¹ - الإدريسي أبو عبد الله محمد، المغرب العربي، تحقيق و تعجيم محمد الحاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص ص 107، 108، 109.

¹² - رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 142.

¹³ - صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 261.

¹⁴ - نفسه، ص ص 319، 320، 321.

¹⁵ - Rachid Bourouiba, L'art Religieux Musulman En Algérie, S N E D, Alger, 2edition, 1981, p 26

¹⁶ - IBID, p 45

¹⁷ - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 213

¹⁸ - نفسه، ص ص 251 - 270. أنظر أيضا : Golvin L, Recherché Archeologiques a la Qalaa Des Bini Hammad, Paris, 1965, pp.54-65.

تعني الترحيب والفرحة بقدوم الضيف، وأثناء الاستضافة يشهد الضيف كرما لا نظير له، فنقام له الولائم وتطهى له أشهى المأكولات الشعبية التي تشتق من الحنطة ، الشعير ، البقول ، اللحم ، التمر ، الفواكه، الزيت ، السمن والعسل، وهي مأكولات صحية تستمد أصالتها من تاريخ الطبخ الحمادي الأصيل: كطبق البسيصة الذي يصنع بسميد الشعير المحمص والزيت والماء، وطبق الهريسة : الذي كان يطبخ بالقمح واللحم المرحيين ولحم الدجاج وبزيت الزيتون ، وطبق العصيدة : الذي كان يطبخ بالقمح والماء والسمن والعسل وطبق الدشيش : وهو شربة مصنوعة بالشعير المدشش، وطبق التريد : وهو الخبز المفتت في المرققة ، أما أطباق الحلويات التي تُعرف بها المنطقة فهي على سبيل الذكر : الكعك والسفنج بالعسل والقطايف و القباط الذي كان يحشى باللوز¹⁹. إضافة إلى هذه الأطباق العريقة ذات القيمة الصحية والتاريخية ، يزخر المطبخ في منطقة الحضنة حاليا بأطباق أخرى: أهمها الخبز التقليدي الذي يطهى داخل الأفران التقليدية المصنوعة بأيادي النساء فوق نار الحطب، وأطباق الشخشوخة ، الكسكسي، الزيطي و الرفيس²⁰. ومن طبائع كرم الضيافة عند أهل المنطقة أيضا هي "الزيارة " عند مغادرة الضيوف، فإن الضيافات يأخذن معهن هدايا يطلق عليها في التراث الشعبي "الزيارة". وهي دلالة واضحة على أهمية سلوك العنصر البشري كأحد العناصر الهامة في الإقبال السياحي، فمهما كانت درجة جاذبية المنطقة السياحية، فإن الإقبال عليها يكون محدودا ما لم تتوفر بعض السلوكيات، كالاستقبال الجيد وحسن الضيافة التي تمثل أهم العوامل المؤثرة في نفسية السائح، وعليها يقع عبء اختيار الموقع السياحي ، مدة البقاء، نمط السفر، والأنشطة التي تمارس ، مما يستدعي خروج مثل هذه السلوكيات الجذابة من البيوت لتشمل هياكل الاستقبال الفندقية العمومي.

2- مجالات الاستغلال السياحي :

2-1 تنويع تقنيات العرض السياحي :

لقد حَظَّت المتاحف والمواقع الأثرية الدولية خطوات كبيرة لرسم سياسات إستراتيجية هادفة ، وتقنيات متطورة لكسب عدد أكبر من الزوار، من أجل عولمة مقتنياتها بمختلف الطرق والأساليب العلمية الحديثة، حتى تواكب رغبات الفكر الاجتماعي المعاصر، وهي من التحديات التي يفرضها تطوير موقع قلعة بني حماد كوجهة سياحية مستقبلية، مما يستدعي إدراج برامج وطرق عرض جديدة تلبي حاجيات الزائر والباحث والمستمتع المتزايدة لمعرفة تاريخ والمكونات المعمارية للموقع، وما يرتبط به من إنتاج فكري وفني وصناعي متعدد، بأسلوب جديد وعصري تقترن فيه طريقة العرض العادي بالوسائل السمعية البصرية في شكل واجهات عرض مركزية وحائطية. وهي أحدث طرق العرض حاليا ، وتتجسد على أرض الواقع بعملية إقران شاشات عرض مع

¹⁹ - رشيد بورويبة ، ص 162.

²⁰ - مديرية السياحة لولاية المسيلة ، منوغرافيا ولاية مسيلة ، 2008 ، ص28.

النصوص والمؤثرات الصوتية، فنجد في غالبية قاعات العرض بالمتحف مدرجاً به أماكن جلوس أمام شاشات عرض كبيرة تعطي إيضاحات ومعلومات إضافية وعلمية حول مجموعة المعروضات المراد التعرف عليها، فيمكن مثلاً تصميم شاشات ديجيتال لعرض القطع الأثرية بتصوير ثلاثي الأبعاد، يساعد على إعادة تصور كامل لشكل القطع الغير مكتملة، وتعمل هذه الأجهزة بواسطة الزائر نفسه أو بطريقة تلقائية خلال زيارة قاعات العرض. بالإضافة إلى وجود أجهزة إعلام آلي مزودة بأقراص مضغوطة يستطيع من خلالها الزائر الاستماع إلى إيضاحات و شروحات وافية ، مما يعطي له فرص الاختيار بين جولة عامة في الموقع والمتحف أو عرض دقيق لمجموعة معينة من التحف الأثرية²¹ ، حيث تضيف هذه التقنية جاذبية وممتعة مشوقة للزائرين والباحثين ، والفعالية التي تقدم رؤية فورية تثري تقدير الإنسان وفهمه للتراث الثقافي .

ولعل أحدث هذه التقنيات في مجال وسائط العرض المتحفي ، هي استخدام شبكة الانترنت الواسعة الانتشار في العالم وإدخال الموروث الثقافي كموضوع ثقافي تربوي علمي وسياحي ، ما يتيح للملايين من مستخدميها التعرف على أهم مقتنيات متحف القلعة ومدينتها الأثرية ، مما يحفزهم على التنقل لزيارة هذه المقتنيات التاريخية والفنية النادرة ، بعد أن تبلورت في أذهانهم معلومات أثرية وفنية وعلمية حولها ، تجعلهم متشوقين أكثر في التعرف عليها بصفة ملموسة ومحسوسة من خلال الإطلاع عليها عن قرب²². وهي تقنيات أثبتت نجاعتها في أكبريات المؤسسات المتحفية في العالم كمتحف اللوفر، متحف برلين ، والمتحف الوطني البريطاني .

2-2- بحث الصناعة التقليدية:

تحتل الفنون والتقاليد الشعبية مكانة هامة ،ليس فقط في النسيج الاقتصادي والاجتماعي ، ولكن أيضا في النسيج الثقافي والحضاري، بالنظر للخصوصيات التي تتميز بها، والتي نجد لها عمقا تاريخيا متصلا بالتحويلات الاجتماعية المرتبطة بالعلاقات والتطورات التاريخية الكبرى التي عاشتها قلعة بني حماد عبر قرون.إن التأمل البسيط في ماضيها البعيد والقريب، يدلنا على مدى الغنى الكبير بالصناعة الفنية الرائعة، فقد دلتنا النصوص التاريخية والآثار على انتشار الصنائع والحرف المتمثلة في فن التصوير ، التزويق ، النحت ، النقش على الجص الملون وعلى الخزف المطلي بالمينا، الزليج المزين بالصور والفسيفساء ، التي تعبر عن الخيال الواسع والذوق المرفه لصانعيها .

وقد دلتنا الاكتشافات الأثرية والحقائق التاريخية عن تواجد عديد معامل الأكسية و اللبابيد والسجاجيد المزخرفة و الملابس الفاخرة بالقلعة أيام توهجها و نهضتها، فكانت عمامة الرأس وحدها دون بقية لباسه تبلغ

²¹- أحمد رفاعي ، طرق العرض الحديثة في المتحف ، حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة ، العدد الخامس، 1996، ص ص4 5.

²²- نفسه ، ص 6.

قيمتها ستمائة دينار، فإذا وضعت على رأس صاحبها بإتقان كانت كتاج مذهب. وقد اجتهد حماد بن بلكين في تعمير القلعة وأكثر فيها من إنشاء المساجد والفنادق والأسواق، فتطور بها العمران وارتحل إليها الصناع وهواة الفن والتجارة واستوطنها أرباب الصنائع والحرف الذين تركوا لنا أحسن الصنائع، مما يقتضي في الوقت الراهن إحياءه وتقديمه كمنتج سياحي في قالب تقليدي محلي ، من خلال إعادة بعث النشاطات الحرفية وتخصيص أروقة أو ورشات تقترب عمارتها من العمارة التقليدية بالقلعة لإعادة إحياء هذه الصناعات من جديد ، خاصة وأن المنطقة ككل تشتهر بالألبسة التقليدية وصناعة الزرابي ، والمصنوعات الجلدية ، ذلك أن إعادة بعث هذه الأنشطة اليدوية يزيد حتما من حجم التدفق والإقبال السياحي ، مما يدعونا للبحث عن مصادر للتمويل على المدى القريب، كما هو موجود حاليا بدعم من الدولة بالمدينة العتيقة بتونس العاصمة وقصبة مدينة الرباط المغربية ، حيث عمل مهنيو قطاعي السياحة و الثقافة على إعادة النشاط الحرفي في إطار مشاريع مدعمة من البنوك في مجالي الحرف و الصناعات التقليدية، تضمن مناصب شغل دائمة وتوفر صناعة تقليدية محلية للسياح الأجانب . ذلك أن السائح الوافد من دولة أخرى يبقى شغوبا و في أمس الحاجة دائما إلى الأعمال الحرفية والتقليدية حتى يشبع رغباته الجامحة ، فلم يُلغ التقدم العلمي واستتساخ روائع اللوحات الفنية و اللُقى الأثرية من تماثيل وحلي وغيرها، نكهة العمل الإبداعي الفني المتمثل في الحرفة والصناعة التقليدية المرتبطة برائحتي الصانع والمكان ، وقد يجد السائح في تقليد الحرفيين للعديد من التحف الأثرية و الروائع الفنية التي يشاهدها في المتاحف والمواقع الأثرية، والتي يقوم بشرائها كتذكارات ذات قيمة رمزية ، ما يشبع به رغباته في اقتناء نسخ مصنوعة لمثل هذه الأعمال التي تبهره بعظمتها وقيمتها التاريخية والحضارية²³. مما يحقق عائداً اقتصادياً و مردودية مالية تعود فائدها بالدرجة الأولى على المؤسسة المنتجة ، وتمكن كذلك من خلق تنافسية ، وبعث الأنشطة المرتبطة بها، لتعود فوائدها في النهاية على المجتمع والدولة بفضل الديناميكية الاقتصادية التي توفرها .انظر الشكل رقم:04.

2-3 - التوظيف الإعلامي والتسويق السياحي:

يعد الإعلام السياحي أحد أشكال الإعلام المتخصص ، وهو في حد ذاته يمثل كافة أوجه الأنشطة الاتصالية المخططة والمستمرة ، التي يمارسها إعلاميون مختصون بهدف تزويد الزبون بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور المتعلقة بالسياحة²⁴،

²³ - أحمد رفاعي، السياحة الثقافية عامل لمحافظة على التراث الأثري ، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 10، السنة 2001 ، ص 87.

²⁴ - محمد منير حجاب ، الإعلام السياحي ، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2002 ، ص 15.

بطريقة موضوعية وبدون تحريف عن طريق رسائل وأشكال الاتصال المختلفة وبكافة الأساليب الفنية للإقناع والتأثير، من أجل تنمية الوعي السياحي لدى أفراد المجتمع من ناحية ، ومن أجل استقطاب أكبر عدد من الأفراد للإقامة بعيدا عن موطن إقامتهم سواء داخل البلاد أو خارجها.

ولاستغلال المقومات السياحية لقلعة بني حماد أحسن استغلال، يتطلب ذلك حسن أداء وسائل الإعلام لوظيفتها وأهدافها المسطرة، والتي يفترض أن تقوم على دمج المعالم الأثرية المكونة للقلعة ضمن سياسة اتصال ترمي إلى : إبراز الآثار الاجتماعية والاقتصادية للسياحة في تنمية المجال الذي تتواجد فيه القلعة بما في ذلك منطقة الحصنة، وتبني رسالة إعلامية سليمة للرفع من مستوى الوعي السياحي عند الفرد البسيط باعتماد مضامين مبسطة. وتركيز صورة مدينة القلعة سواء الفنية أو الأثرية من خلال الإعلان السياحي (المرئي، المسموع، المقروء، السمعي البصري) ، والإعلان عن كل المستجدات والمغريات الجديدة ومختلف الإضافات الحاصلة بموقع القلعة ، كما تقتضي منظومة الاستغلال السياحي السليم لموقع القلعة وضع إستراتيجية للتسويق والإعلام السياحي، تمتد على المدى الطويل من خلال التلفزيون ، الراديو، مجلات الأطفال ، الكتب المدرسية ، السينما، أشرطة الفيديو، مواقع التواصل الاجتماعي والانترنت ، أما على المدى القصير فيمكن أن تتضمن الإستراتيجية التغطية المستمرة للنشاط السياحي المتنوع في موقع القلعة من خلال الإذاعة المحلية ، والجرائد اليومية ، الجرائد الأسبوعية ، المجلات الأسبوعية العامة ، الجرائد المتخصصة و البرامج السياحية الأسبوعية في الراديو والتلفزيون.

2-4 - تنوع هياكل الاستقبال الفندقي:

لقد أدت كثرة الأسفار وزيادة الانتقالات الجماعية بين كافة مستويات السكان، و اختلاف إمكاناتهم المادية بالإضافة إلى ميل الإنسان إلى الحياة الطليقة المتحررة ، إلى ضرورة إيجاد أشكال فندقية جديدة تتناسب والذوق السائد في هذا العصر، من أجل ذلك كان لزاما على المشتغلين بصناعة الفنادق أن تتفق آراؤهم على مصطلحات جديدة (قرية سياحية ،منتجع، مصيف ...) يرتبط كل منها بنوع معين من الأنشطة السياحية. كما يعتبر الفندق من عناصر الجذب الهامة التي تزداد أهميتها في المدينة و الإقليم والدولة يوما بعد يوم ، باعتباره مركزا تجاريا وثقافيا وفنيا ، بفضل قاعات الاجتماعات والحفلات التي تضمنها جوانبه، والولائم التي تقام فيه ووسائل الراحة التي توفرها أبهاؤه والاحتياجات التي يعثر عليها الزبون في مرافقه.

ومن أجل بعث صناعة السياحة بمنطقة الحصنة بصفة عامة وقلعة بني حماد بصفة خاصة ضمن هذا السياق، يتوجب ذلك التخطيط العاجل لبعث مشاريع الفنادق المتعددة التصنيفات، للاستجابة الآتية لكل الرغبات والمستويات الاقتصادية للزوار، بحيث يكون كل فندق حسب درجة تصنيفه، قادرا على تزويد السائح بالمأوى والمأكول وتأدية كل الخدمات المتصلة به، في جو من الراحة والمتعة إلى أقصى حد أثناء انتقالاته المتعددة.

مما يستلزم أيضا تنويع الحظيرة الفندقية وتوزيعها توزيعا محكما بما يضمن تلبية الطلب السياحي المتنوع كما أن صناعة الفنادق تعد في الوقت الراهن من الصناعات الحيوية التي تشغل اليد العاملة وتساهم في تخفيض نسب البطالة ، فف بريطانيا مثلا يعمل في فنادقها عدد من العاملين أكثر من عدد من يعملون في صناعة المحركات والسيارات والطائرات مجتمعة.

2-5- تنويع التكوين في المجال السياحي :

يمثل المجال السياحي الوعاء والإطار المناسب لتسويق تراث القلعة بنوعيه المادي واللامادي، لما تمثله السياحة من حلقة ربط مهمة بين شعوب العالم ، مما يقتضي توفير قوة عاملة متخصصة قادرة على إيصال الرسالة للسائح، من شأنه أن يساهم في وضع القلعة كوجهة دائمة للسياح ، لما يجدونه من ترحاب وحسن استقبال ومرافقة. فإذا ما قارنا مجال الإرشاد السياحي ببلادنا والعالم من حولنا لوجدنا الهوة شاسعة، فلقد قطعت الدول الأوروبية كفرنسا، إسبانيا، ألمانيا، أشواطا كبيرة في ميدان التكوين السياحي بمختلف تخصصاته ودرجاته سواء في التنشيط أو الاستقبال أو المرافقة .

ويتوقف مدى نجاح العامل البشري في أداء هذه الوظائف على مستوى تأهيل وتكوين المختصين في تقديم التراث الأثري أو المنتج السياحي إلى المستهلكين باختلاف جنسياتهم وأعمارهم ومستوياتهم العلمية والثقافية. مما يقتضي وجود هيئة للتسيير السياحي في الميدان ، تشرف على برمجة وتسويق المسارات والرحلات التي تشمل كل المواقع والمعالم الأثرية خلال المواسم السياحية، وهنا يأخذنا الحديث إلى وظيفة الدليل المرافق باعتباره حلقة الوصل بين الزائر والأثر، حيث تتمثل وظيفته في مرافقة الأفواج²⁵ طيلة مدة الزيارة من اقصر مدة وهي (يوم واحد) إلى أقصاها وهي (25 يوما)، و يتوجب عليه ضمان السير الحسن للرحلة من جوانبها التقنية (إقامة ، إطعام ، مرافقة سياحية)، ويشرف على تقديم التعاليق بمختلف اللغات الأجنبية . ويشترط فيه التمتع بالحيوية والحس الممتاز لفن الاستقبال و الإحاطة بمختلف التقنيات السياحية وتعلم الطرق والمناهج البيداغوجية الحديثة لإيصال المعلومة السياحية²⁶.

وتتفرع عن وظيفة الدليل عدة تخصصات دقيقة تؤدي مجموعة وظائف تكاملية أهمها : الدليل المترجم le guide interprète، وهو الذي يتكفل بتسيير الزيارات بالتعليق في الأحياء العامة و المتاحف والمعالم الأثرية وداخل وسائل النقل المشتركة ، و يمكن له حمل بطاقة مهنية من وزارة السياحة ، ويمكن له أيضا العمل في الوكالات السياحية . وتتفرع عن وظيفة الدليل المترجم عدة فروع وهي: الدليل المترجم الجهوي²⁷ le guide

²⁵ - عبد الحق معزوز ، المتحف عامل اتصال ، مجلة حوليات، المتحف الوطني للآثار القديمة، العدد السادس ، 1997، ص 40.

²⁶ - نفسه ، ص 41.

²⁷ - يمارس مهامه في الجهة المخول له المعمول فيها ، ويستوجب عليه تلقي تكوين في وحدات التراث الثقافي والسياحي والسياحة الجهوية.

الدليل الوطني²⁸ Le guide Interprète National، الدليل المترجم الوطني²⁸ Interprète Régional، المحاضر²⁹ Le Guide Conférencier، الوسيط الثقافي³⁰ Le Médiateur Culturel. هذا الأخير يشترط فيه التمتع بمعارف واسعة، تتعلق بالسياسة الثقافية ونظام عمل المؤسسات الثقافية وتقنيات التسيير والوساطة الثقافية، في الفن والثقافة عن طريق تلقي تكوين تطبيقي في المتاحف الوطنية، وظيفته استقبال الأفراد والجمعيات وطلبة المعاهد والأطفال والبالغين والسياح الأجانب، ويقترح عليهم زيارات خاصة وهذا أثناء فترة إقامة النشاطات الثقافية³¹.

2- 6 - التنشيط الثقافي والرياضي الدائم :

يمثل التنشيط بشقيه الثقافي والرياضي أحد الجوانب المهمة لبعث موقع قلعة بني حماد من جديد كوجهة سياحية مستقبلية، فقد أكدت تجارب الدول الرائدة في هذا المجال، قيمة النشاط الثقافي المرتبط بالموقع أو المعلم الأثري في زيادة الجذب السياحي، ذلك أن عملية المزوجة بين الموقع الأثري لقلعة بني حماد والأنشطة الثقافية المحلية، الوطنية والدولية، يبعث ديناميكية كبيرة في المكان، خاصة إذا كانت هذه الأنشطة تمتاز بالتنوع على امتداد فصول السنة.

وفي هذا السياق يعد اقتران المواقع الأثرية والمدن الأثرية بالنشاطات الثقافية الهادفة المتنوعة عاملا مهما للرفع من نسبة توافد الزوار على المكان، وقلعة بني حماد من الصروح التي يمكن أن تكون منطلقا لعدة نشاطات، تستنبط مواضيعها وعناوينها من المخزون العلمي والأدبي والمعماري المتنوع الذي تحوز عليها القلعة، من خلال تنظيم ملتقيات علمية، تُعنى بدراسة عصر القلعة الذهبي الذي نجده من أغنى العصور ثقافة، حضارة وعمرانا، فلقد كانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية، وكانت المنح والجوائز الدولية توزع على عباقرة وأرباب القرائح المبرزين في كل علم وفن، فازدحمت يومئذ معاهدها بالكثير من العلماء والحكماء والأطباء والشعراء وأهل الفنون الرياضية والهندسية، وأُمّ عواصمها الكثير من خيرة علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز والعراق، ولقد بلغ من إقبال الناس على العلوم يومئذ أنه كان يجتمع على المدرّس الواحد ما ينيف على المائة طالب.

ولقد عرف علماء الدولة يومئذ منزلة الاختصاص أو التخصص في نواحي من العلم من أمثال ابن الرمامة العلامة والفيلسوف والحكيم الفقيه المولود سنة 478هـ بالقلعة، بل أكثر من ذلك فقد كان من العوام وأشباههم

²⁸ - يزاول مهامه بصفة واسعة وأشمل، ويشترط فيه الحصول على شهادة في التنشيط السياحي المحلي أو في التاريخ والآثار والفن والاتصال.

²⁹ - يكون على مستوى الوكالات السياحية ودواوين السياحة والمتاحف الكبرى وقاعات العرض، ويقتصر عمله على المدينة أو البلد الذي يقطنه أو النوع الفني أو الأثري المختص فيه.

³¹ - Florence Brière Cuzin, Patrimoine et Tourisme ,Méthodologie ,Formation Supérieures en Tourisme Culturel, Bréal Editions ,2002, pp 11 12 13 14 15 .

من كان يحفظ عن ظهر قلب من أمهات الكتب الفقهية والحديث الصحيح لصحيح البخاري وموطأ الإمام مالك .بالإضافة إلى ما تتربع عليه القلعة من إرث معماري متنوع كان مصدر إلهام لمهندس العمارة اللاحقة بعد زوال حكم بني حماد. على ضوء كل ما سبقت الإشارة إليه، يمكن إعادة بعث الحركة العلمية والثقافية والأدبية بموقع قلعة بني حماد في شكل ملتقيات فكرية وطنية ودولية تعنى بتاريخ القلعة وأعلامها وساستها، وكل ما تعلق بتراتها المادي واللامادي ، تستقطب من خلال هذه الملتقيات شرائح أهل العلم والمعرفة والشغوفين بالعلوم من أساتذة وباحثين وطلبة . تجدر الإشارة أيضا إلى أنه لا يمكن اعتبار موسم سياحي ناجح بالقلعة في غياب المعارض الخاصة بالمنتج الوطني ومهرجانات وطنية و دولية في شتى الطبوع الغنائية، الموسيقية، السينما والمسرح المحترف، على غرار مهرجانات أعرق المدن الأثرية في العالم العربي كتيتمقاد ، جميلة ، جرش، قرطاج ، الأقصر، بعلبك وغيرها.

كما أن إحياء القلعة كقطب سياحي يقتضي منا كذلك تسطير مواعيد رياضية قارة على مدار السنة السياحية والسعي لإنجاحها ، بالعمل على إنشاء ملاعب ومضامير رياضية على غرار ما هو موجود ببعض الدول الأوروبية ، المغرب الأقصى ودول الخليج ، فقد مثلت الفروسية منذ القدم هواية مفضلة بمنطقة الحضنة ككل ، مما يدعونا اليوم لبعث مهرجان وطني للفروسية وسباق الخيل ، وإحياء كل ما هو نشاط رياضي محلي وتقليدي على غرار مهرجان الألعاب الرياضية الشعبية ، مسابقات الصيد البري ، تحديات تسلق الجبال والصخور. خاصة وأن الأنشطة الرياضية لا يقل عراقة عن الأنشطة الثقافية المرتبطة بأشهر المدن الأثرية في العالم، فقد شكل البعد التاريخي للألعاب الاولمبية قيمة إضافية لمدينة أثينا اليونانية، ومنحها في وقتنا الحاضر القيمة السياحية باعتبارها عاصمة أم الألعاب الرياضية. كما شكل برج إيفل بباريس مكانا للتسلق والتحديات الرياضي، والأمثلة كثيرة لا يسع المجال لذكرها. كما أن نجاح كل هذه التظاهرات يتطلب الاستعانة بمنشطين بيداغوجيين قادرين على وضع برامج تواكب وتستقطب مختلف شرائح المجتمع وتضمن ديمومة الفعل الثقافي والرياضي .

2-7- الحفر الأثري والمكتشفات الجديدة :

يُعرّف الحفر الأثري بأنه التنقيب عن المواقع التاريخية ، بغية الكشف عما عساه أن يوجد فيها من أطلال معمارية أو فنية، ويقصد به أيضا التسجيل الكامل والدقيق لكل ما عساه أن يوجد في هذه المواقع من أدلة مادية أو ظواهر حضارية ، و التفسير المنطقي لكل ما يتعلق بطبقات إسكانها الحضاري من خلال علاقات هذه الطبقات بعضها ببعض، ومن خلال علاقاتها بمكونات الموقع وظواهره المعمارية والفنية³².

32 - عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، ص 128.

قبل الحديث عن أهمية إعادة عمليات الحفر الأثري في الرفع من مستوى التدفق السياحي ، وجب التنبيه إلى أن أول إشارة إلى عاصمة الدولة الحمادية كانت من طرف موظف فرنسي هاو للآثار بمنطقة المعاضيد ومراسل لجمعية الآثار بقسنطينة، يدعى روبير M A Robet، زار موقع القلعة وقرية تيحمامين بمنطقة المعاضيد ، وكتب في ذلك تقريراً مرفقاً بمخطط كموقع القلعة مع صور ، وتم نشره في مجلة الجمعية عام 1903م. ثم تلتها تنقيبات أجراها النقيب روبي Robet عام 1908م، في أرضية جامع القلعة وقصر البحر، وقد استفاد G Marcais ، من كسر الفخار و الزليج الإسلامي الملتقطة هنالك ، فألف كتاباً في ذلك عام 1918م، ثم أعمال غولفين L Golvin، في القلعة أثناء سنوات 1952م – 1962م، وقد اتصفت بالتقطع نظراً لحالة الحرب التي فرضتها ثورة التحرير 1954م – 1962م ، وقد نشر نتائج تنقيباته عام 1965م تحت عنوان "بحوث أثرية في قلعة بني حماد". وهي الأعمال التي استأنفها رشيد بورويبة سنة 1964م³³. وقد ساهمت كل عمليات الحفر سائلة الذكر في إظهار مكونات الموقع وإبرازها للعيان .

كما مكنت من إثراء العديد من المتاحف الوطنية بمختلف التحف المنقولة والمودعة بأروقتها ، كما أن استئناف مشاريع الحفر حالياً من شأنه أن يعيد الحيوية للمكان ، ذلك أن عمليات الحفر تعد بمثابة قيمة مضافة للموقع، فكلما زادت حجم المكتشفات الجديدة كلما زادت قيمة الموقع الأثري ، ومن ثمة يمكن الترويج والتسويق من جديد للموقع ، وإذا ما ألقينا نظرة على ما هو حاصل من حولنا نجد أن أكبر المتاحف في العالم سواء المكشوفة أو المغطاة ، تولي أهمية كبرى للبحث الأثري وتبذل قصارى جهدها للحصول على تحف جديدة من أجل إغراء السياح الأجانب والمحليين لإعادة زيارة مواقعها وإبرازها للعيان ، كما ساهمت في إثراء العديد من المتاحف الوطنية بمختلف التحف المنقولة والمودعة بأروقتها ، كما أن استئناف مشاريع الحفر حالياً من شأنه أن يعيد الحيوية للمكان ، ذلك أن عمليات الحفر تعد بمثابة قيمة مضافة للموقع، فكلما زادت حجم المكتشفات الجديدة كلما زادت قيمة الموقع الأثري ، ومن ثمة يمكن الترويج والتسويق من جديد للموقع ، وإذا ما ألقينا نظرة على ما هو حاصل من حولنا نجد أن أكبر المتاحف في العالم سواء المكشوفة أو المغطاة ، تولي أهمية كبرى للبحث لأثري وتبذل قصارى جهدها للحصول على تحف جديدة من أجل إغراء السياح الأجانب والمحليين لإعادة زيارة مواقعها وأروقة فضاءاتها من جديد.

خاتمة : أخيراً ومن خلال ما سبقت الإشارة إليه من مقومات حضارية ، وما تم عرضه في إطار خطة واقعية للاستغلال السياحي للموقع قيد الدراسة ، يمكن القول أن قلعة بني حماد وغيرها من المعالم والمواقع الأثرية المصنفة ، تستطيع على المدى القريب والمتوسط أن تصبح قبلة سياحية بامتياز على غرار أقوى المواقع

³³ محمد البشير شنييتي ، علم الآثار ، تاريخه، مناهجه، مفرداته، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2013، ص ص 81 82.

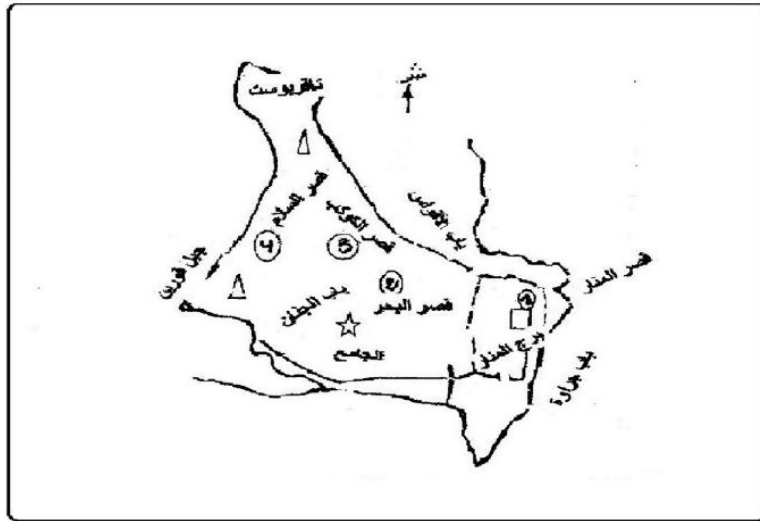
الأثرية جاذبية للزوار داخليا وخارجيا . و مصدر دائم لدعم الخزينة العمومية، والأكثر من هذا كله هو المساهمة الفعالة في تنويع مصادر دخل الاقتصاد الوطني ، وهي أكبر معضلة تواجه الاقتصاد الجزائري في الوقت الراهن .



الشكل رقم 01: موقع وتضاريس قلعة بني حماد. المصدر: Google Earth.



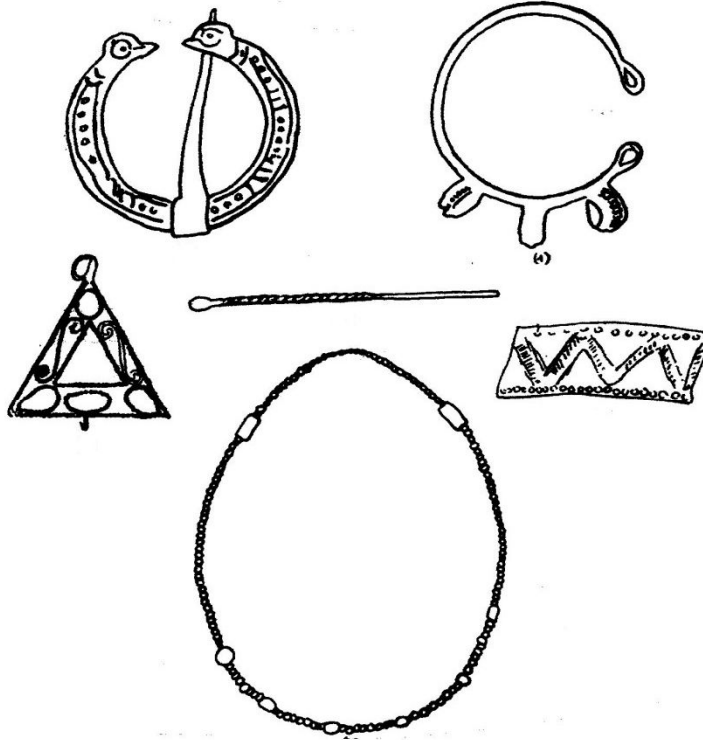
الصورة رقم 02: المسجد ، المنارة وبيت الصلاة . المصدر: Google Earth



الشكل رقم 03: المعالم الأثرية بقلعة بني حماد.



أواني حمادية



حلي حمادية

الشكل رقم 04: أواني وحلي حمادية

المصدر: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص 282 310.